**الأدلة على إثبات صفة الكلام لله تعالى**

***بحث فى : توحيد الصفات***

*إعداد / أيمن محمد أبوبكر*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : الأدلة على إثبات صفة الكلام لله تعالى**

**الكلمات الافتتاحيه : الكلام، الادله، صفه**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة الأدلة على إثبات صفة الكلام لله تعالى**

* ***. موضوع المقالة***

صفة الكلام، هذه الصفة من الصفات التي ضلَّ فيها كثير من الناس عن الصواب، وهي من هذه الناحية تشبه صفة الاستواء، بل تفرَّق الناس فيها أكثر من تفرقهم في صفة الاستواء؛ إذ تفرق الناس فيها إلى تسع فرق، كلها تائهة عن الجادة إلا واحدة، وهي التي تمسكت بما كان عليه سلف هذه الأمة وخيرها، وأمسكت عن الخوض تأدبًا مع نصوص الكتاب والسنة، وإيمانًا منها بتلك النصوص المتضافرة والأدلة المتنوعة.

وللإمام الطحاوي عبارة لطيفة في هذا المعنى إذ يقول: "ولما أوعد الله بسقر لمن قال: {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ} [المدثر: 25] فعلمنا، وأيقنا أنه قول خالق البشر. وصفة الكلام عند التحقيق صفة ذاتية قديمة قائمة بذاته -تبارك وتعالى- باعتبار نوع الكلام، وهي صفة فعل تتعلق بها مشيئة الله  باعتبار إفراد الكلام؛ لأن الكلام الذي خاطب الله به نوحًا # في شأن ابنه {ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} [هود: 46]، غير الكلام الذي خاطب به موسى  {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ} [القصص: 30]، وهو غير الكلام الذي خاطب به عيسى # {ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ} [المائدة: 116].

وهذا الكلام كله غير الكلام الذي خاطب الله به خاتم رسله، وإمامهم محمدًا  ليلة الإسراء والمعراج في شأن الصلاة: ((لقد خففت عن عبادي وأمضيت فريضتي))، وهذا كله غير القرآن الذي أنزله عليه، وختم به كتبه. هذا المعنى وهذا الفهم هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة، هم الفرقة الناجية التي تمسكت بما كان عليه النبي  فيما نعتقد، وهذا يعني: أنهم يثبتون لله كلامًا حقيقيًّا يسمعه المخاطب، وأن هذا القرآن الذي نقرؤه بألسنتنا، ونحفظه في صدورنا، ونكتبه في ألواحنا، وكتبنا أنه كلام الله حقيقة لفظه ومعناه، ولا يبحثون عن كيفية تكلمه -تبارك وتعالى- به؛ لأننا نؤمن به، ولا نحيط به علمًا. هذا هو موقف السلف من صفة الكلام بإيجاز؛ لعلمهم بأن الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، ويختلف العقلاء في ذلك، وكلنا نعلم أن معبود قوم موسى الذي اتخذوه من حليهم مما عيب عليه عدم الكلام، بل يُستدل بذلك على أنه ليس بإله؛ إذ يقول الله تعالى: {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ} [الأعراف: 148].

1. ومن أقوى الأدلة على أن الله يتكلم حقيقة قوله الله  {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} [النساء: 164] حيث أكد الكلام بالمصدر المثبت بالحقيقة النافي للمعنى المجازي، وهو أسلوب معروف عند أهل اللغة فمن قال: قتلت العدو قتلًا، لا يُفهم من كلامه إلا القتل الحقيقي، الذي هو إزهاق الروح، بخلاف ما لو قال: قتلت العدو، فسكت. فإنه يحتمل القتل الحقيقي، ويحتمل الضرب الشديد المؤلم جدًّا، ولعله واضح. ومما يُحكى في هذا الصدد أن بعض المعتزلة قال لأبى عامر ابن العلاء أحد القراء السبعة: "أريد أن تقرأ {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} بنصب لفظ الجلالة؛ ليكون موسى هو المتكلم لا الله، فقال له أبو عمر: "هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ} [الأعراف: 143] فبهت المعتزلي.

2. قوله  {ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ} [آل عمران: 77]، فأنت ترى أن الله عاقبهم وأهانهم بترك تكليمهم، تكليم إكرام وإنعام، ولكنه سبحانه يكلمهم ويوبخهم بقوله: {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ} [المؤمنون: 108].

3. قوله : {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ} [التوبة: 6]، أما هذه الآية فمن أقوى الأدلة على أن هذا القرآن المقروء والمسموع كلام الله حقيقة، وهي ردٌّ مفحم لأولئك اللذين يزعمون أن هذا القرآن ليس بكلام الله حقيقة، وإنما هو دالٌّ على كلام الله الحقيقي النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت، أو هو عبارة عنه، يا ليت شعري من الذي عبر عما في نفس الله، هذه عبارات تقليدية وموروثة يردِّدها المقلدون، وهم لا يفقهون ماذا تعني هذه العبارة، وهي تعني فيما تعني الاستخفاف بالقرآن الكريم وعدم احترامه الاحترام الذاتي، وإنما يُحترم بواسطة، وهو ذلك الكلام النفسي الذي يدل عليه. وهذا المعنى مصرح به في بعض كتبهم، وهم يضمرونه في أنفسهم، ولا يصرحون به في كل مكان إلا في مقام التعليم؛ لبيان الواقع، كما يزعمون. هكذا يسيئون إلى كلام الله تأثرًا بآراء أهل الكلام المذموم الذي يرجع سنده إلى ما وراء الإسلام، وهو داخل على الإسلام، وليس من علوم المسلمين.

هذه بعض آيات القرآن الكريم التي تدل على أن الله موصوف بصفات الكلام، ومنه القرآن، وهناك أحاديث في هذا المعنى منها:

1. قوله تعالى لأهل الجنة: ((يا أهل الجنة هل رضيتم)) الحديث، وهو حديث صحيح عن أبي سعيد الخدري.

2. قال مسروق عن ابن مسعود: ((إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا، فإذا فُزَّع عن قلوبهم وسكت الصوت؛ عرفوا أنه الحق، ونادوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق))، ويُذكر عن جابر، وعن عبد الله بن أنس قال: سمعت النبي  يقول: ((يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب: أنا الملك أنا الديان)).

3. قال الإمام البخاري: "باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة"، ثم ساق سنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((إن الله -تبارك وتعالى- إذا أحب عبد نادي جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض)).

4. ثم ساق حديثًا آخر عن الأعرج، عن أبي هريرة، وفيه: ((ثم يُعرج الذين باتوا فيكم)) يعني: الملائكة ((فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يصلون، وأتيناهم يصلون)).

5. قال الإمام البخاري: باب قول الله تعالى {ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ} [الفتح: 15]، ثم ساق حديثا مسندًا عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي  وفيه يقول الله : ((الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي)).

6. ثم قال الإمام البخاري في كتاب التوحيد من (صحيحه): "باب كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم"، ثم ساق حديث الشفاعة بطوله وألفاظه المختلفة، وفي آخره يقول النبي الكريم : ((فأقول: يا رب ائذن لي في من قال: لا إله إلا الله، فيقول الله : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله)).

هذه الأحاديث، وأخرى كثيرة في (صحيح البخاري) و(صحيح مسلم)، وعند أصحاب السنن الأربعة تُضاف إلى الآيات الكثيرة التي تُثبت لله الكلام اللفظي الحقيقي، ومن ذلك القرآن الكريم، والكتب السماوية الأخرى. هذه بعض الأدلة لأتباع السلف في إثبات صفة الكلام، باقية على ظاهرها، كما يليق بالله، لا كما يناسب المخلوق.

**المراجع والمصادر:**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**